

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

رسالة المسجد

السنة 23 - العدد 1 / 1447 هـ - 2025 م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الأمن الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .. الآليات والاطالات

إصلاح المطرولة لبيان وقت الأذان الأول لصلاة الجمعة
- دراسة تحليلية مقارنة -

الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ومكانته العلمية
في المذهب المالكي

العدد : 01



الفهرسة

الرقم	العنوان	الأستاذ	الصفحة
01	افتتاحية الدكتور يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية والأوقاف للدروس المحمّدية.	د. يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية والأوقاف	04 - 12
02	الأمن الاجتماعي في الشريعة الإسلامية .. الآليات والمآلات	د. عبد الرحمان بوقرنوس جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية قسنطينة -الجزائر	13 - 27
03	دلالة الخوف والجوع في ضوء العقيدة الإسلامية: تأصيل قرآني لمفهوم الأمن	د. هديل علي قاسم وزارة التربية العراقية.	28 - 58
04	إصلاح المزولة لبيان وقت الأذان الأول لصلاة الجمعة -دراسة تحليلية مقارنة –	د. غول مراد جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية قسنطينة -الجزائر	59 - 74
05	القرآن الكريم وهديه في أخلقة الحياة الاقتصادية	د. الطيب وكي جامعة الحاج لخضر باتنة 1-الجزائر	75 - 87
06	الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ومكانته العلمية في المذهب المالكي	د. بويعقوب بوطالب مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية مستغانم	88 - 100

افتتاحية الدكتور يوسف بلمهدي

وزير الشؤون الدينية والأوقاف

للدروس المحمّدية

وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمدا عبد الله ورسوله، بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، ودنو من الأجل، وقرب من الساعة، وقال ﷺ - بأبي هو وأمي -: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: وَمَنْ يَأْتِي بِرَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

ثم الحمد لله الذي تفرد بالكمال، وتقدس عن الأشباه والأمثال، وأسبل على عباده أودية الجمال والجلال، فاختص من شاء بنور القرب، ورفع من شاء إلى مقامات الوصال، وجعل الإسلام منهجا متكاملا ينسجم فيه الجسد والروح، وجعل للروح مراقي تستلصق بها من غياهب المادّة، وتتوازن فيها الدنيا والآخرة، وأودع في شريعته أسرار العروج إلى مقامات الإحسان، والصلاة والسلام على سيد السالكين، وإمام الواصلين، حبيب الحق، وسر الخلق، سيّدنا محمد صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أهل الصّدق والكمال،

أما بعد،

حضرة الفاضل الأخ العزيز السيد والي ولاية وهران المحترم، حضرة الفاضل السيد رئيس المجلس الشعبي الولائي، حضرات السادة الأفاضل أعضاء اللجنة الأمنية، حضرات النواب في البرلمان، حضرات إدارات الأمة الجزائرية الحاضرين معنا مركزيا ومحليا، إداريين ومنتخبين، اسمحوا لي باسمكم جميعا أن أرحب بضيوف الجزائر، وضيوف هذا الملتقى الكريم من إخواننا العلماء، الذين تجشّموا صعب السفر، وقصدونا ماجورين إن شاء الله، لمشاركتنا هذا الحفل العلمي الهيج، ونكون معهم إن شاء الله على مقربة من سيدنا رسول الله ﷺ، الذي سيفرح بمثل هذه الأعمال الطيبة المباركة، فأهلا وسهلا بكم سادتي المشايخ والعلماء من خارج الجزائر ببلدكم الثاني. كما أرحب بكل العلماء والشيوخ وأرباب العلم والأساتذة والباحثين في بلادنا الحبيبة، وطلبة العلم وطلبة القرآن في هذه الزاوية العامرة، وعلى رأس هذا المجلس الكريم فضيلة الشيخ أخي الأستاذ نور الدين القائد حفظه الله تعالى وأعانه الحق سبحانه عز وجل على هذه المهمة ونحن كلنا ردة له نصدّقه وندعمه ونؤازره، فهي تركة شيخ حبيب، تركة ينبغي أن نحافظ عليها وأن نجعلها في مصافّ الأمانات الغالية. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أيها السَّائرون إلى الله، التَّائِقون إلى أنوار المشاهدة، الرَّاغبون في ارتقاء مدارج السَّالِكين ومقاصد العارفين ومنتهى القاصدين.

اسمحوا لي أيضا في البداية أن نترجِّم على فقيد الأُمَّة، وشيخ الطريقة البهريّة البلقائديّة، الشَّيخ المربِّي الصَّالح نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، فضيلة الشَّيخ سيدي محمَّد عبد اللطيف بالقائد - رحمه الله -، وكم يصعب أن تدخل دارا غاب عنها مولاها، وكم يصعب أن تجلس مجلسا فارقه حبيب لا أحسب أنه نجم أفل ولا فارس نزل وارتحل، فالسنة باقية وهذا دليلها.

إن فضيلة الشيخ الذي نترجم عليه، وكم كنا نلتفت يمنة أو يسرة كي نشاهد أنواره معنا في مثل هذا المجلس الكريم، ولكن هي مشيئة الله، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

الشيخ محمد عبد اللطيف بلقائد مؤسس هذه الدروس المحمدية والتي تشرفت ذات يوم بدعوته الكريمة أن أكون ممن يضع لها اللبّات الأولى منذ عقدين من الزمن ما يقرب من عشرين سنة، ووالله ما ذلل الصعوبات في البدايات إلى مقاصد النهايات، وما أزال خوف المسؤولية وأثقالها وجلال المهمة وأحمالها إلا نسبة هذه الدروس إلى سيدنا محمد ﷺ، فذكر محمد عند الحصون يدها ولدا أسوار المدائن يفتحها وبين يدي الأعداء يهزمها صلوا على رسول الله ﷺ. دروس غدت صرحا يشع نورا بالعلوم والمعارف كثر حوله الزحام، وزمزمًا يتفجر سرا تتلقاه الأكف والمغارف، تحجه فئات من الناس وفئات. رحم الله شيخنا الجليل الذي كان له الفضل حيا وميتا في اجتماعنا في هذا المكان الطاهر لننهل من بركات شهر رمضان ونرتوي من ينابيع الإيمان في هذه الأجواء الروحانية التي تتعانق فيها القلوب في محارب الذكر والدعاء، ويجتمع الصائمون على موائد كتاب الله فاللهم جازه بالحسنات إحسانا، وبالسيئات عفوا وغفرانا، واجعل عمله وعلمه وصلاحه شافعا له يوم الدين، واجعل هذا الحضور من الشاهدين، اجعله من آثاره الباقية بالخير إلى يوم الدين، أيها الجمع المبارك الكريم، إنه من دواعي السرور والغبطة أن أكون في هذا المحفل المبارك مع نخبة من أهل الفكر وحملة العلم كي نناقش موضوعا تتجاوز حدوده النظرية إلى أفق التطبيق الروحي والمجتمعي، ذلك البعد العميق الذي يشكل جوهر الإسلام وروحه النابضة، إنه الطريق الذي يسمو بالنفس من مدارك الحس إلى آفاق المعنى ويأخذ بيد السائرين في مدارج السالكين محو مقام الإحسان حيث تتجلى حقائق العبودية في أسى صورها في ظل تحديات راهنة ملجئة تموج بها الأمة الإسلامية حاليا.

حديثنا عن التصوف هو غاية السير ومنتهى السلوك ومفتاح الشهود الجمال الإلهي ولقد وفق إخواني المنظمون بعد اختيار سماحة الشيخ الراحل هذا الموضوع حقيقة التصوف الذي هو جوهر الدين ومقام الإحسان وقد تفضل تقديمه أخي المقدم قبل قليل والذي يعبر عن حقيقة العبودية وسر الحقيقة ودرجة كريمة من مقامات الاستسلام لرب الأكوان حيث تنخلع النفوس عن قيود الأدران وتستضيئ الأرواح بأنوار العرفان فتتحقق العبودية الحقّة، بمعناها الأتم عبادة ممزوجة بالشهود، ليست ألفاظا ليست تعابيرا إنشائية نقولها إنها فرحة مقترنة بالتجرد، حين تعرف الله وحين تجد الله.

إذا الله لم يحرسك مما تخافه

فلا الدرع مناع ولا السيف قاطع.

عبودية قائمة على الله وبالله ومن الله وإلى الله ﴿قُلِ اللَّهُ تَزَوَّجَهُمْ فِي خَوَاصِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ سورة الأنعام: 91.

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ سورة الذريات: 50، فروا منه إليه واعملوا بطاعته كما قال ابن عباس وقال سهل بن عبد الله التستري فروا مما سوى الله إلى الله. وقال أبو اسماعيل الأنصاري في منازل السالكين هو الهرب ممن لم يكن إلى من لم يزل والهروب ممن لم يكن وهم الخلق جميعا إلى من لم يزل وهو الحق سبحانه وتعالى هذه هي حقيقة التصوف كما وصفها رحمة الله فرار من الخبر إلى الشهود ومن الرسوم إلى الأصول ومن الحظوظ إلى التجريد - وما أكثر حظوظنا - ألفاظ التزكية والتربية والتصوف والإحسان ماهي إلا مصطلحات لزوايا الحسن في جوهرية التوحيد، وهي أسعى مقامات ترتيل الروح للقرآن والتجويد، أتشرف اخواني أقول ذلك صراحة أتشرف بالعكوف فيه تلميذا عند الساد الأشراف، وأرباب الحال الحصاف، فهم له الذهن الفسيح واللسان الفصيح وستجدون ذلك في الدروس القادمة، أما محدثكم لا يملك صائبة النواظر ولا مخبئات الدفاتر ولا أدرك الفوائد المستخرجة ولا الفرائد المستدرجة وما أبعدته عن النكت المعلقة والغرائب المستلحقة فإن ذكر شيئا من معناه أو قطف ثمارا من جناه فهي من وحي هذا المجلس المبارك أستقي ودعواتكم أرتقي. إنها حال من الانغماس في بواطن المعنى وارتحال داخلي يمزق حجب الغفلة وما أكثر الغافلين. إنه سفر في أعماق الروح بحثا عن النور وكم سافر الناس وقطعوا الفيافي وقطعوا مهامها والصعاب بحثا عن هذا السر، ومن أدركه فقد أدرك كل شيء فمن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء، هو ذلك الخيط الرفيع الممتد بين العبد وربّه، حيث يثقل القلب من كدر العلائق وأوساخها فيتسع لفيض الأنوار الإلهية، هو مقام الإحسان الذي هو تاج المعرفة ذروة العروج ذوبان الحواس في شهود المطلق حيث يستشعر القرب، إنه رحلة الإنسان في ذاته الحقيقية حيث يتحرر من رق الأهواء وينعتق من أسر الظواهر الخداعة، فلا عجب أن يكون التصوف إذا صنوا للصفاء ورضا للإحسان وطريقا يفيض بالسكينة وسط ضجيج العالم المادي. هذا ولا يقتصر هذا المعنى على السلوك الروحي الفردي بل يتجلى في أبهى صوره عندما ينعكس سلوكا من المرء على مجتمعه في معاملاته، في كلماته، في أفعاله، وهو ما قاله حجة الإسلام الإمام الغزالي - عليه رحمة الله - في إحياء علوم الدين: ليس التصوف ترفعا عن الدنيا بل هو تهذيب لها، وليس هو عزلة عن الناس بل هو خدمة للناس، فليس هذا المعنى انزواء في الزوايا بحال، بل هو معنى مستحال، وهو انخراط في صميم الحياة بلها بقلب نقي وروح سامية فالتصوف أن تكون مع الله بلا قيد، وأن تكون مع الخلق بلا ميل. فمن مقام التوبة مثلا مروراً بالزهد حتى تتفجر ينباع المحبة فيفيض القلب بذكر الله، ويتحقق بالتوكل ثم يغيب العبد عن نفسه في حضرة الإحسان كما كان سلفنا الصالح من صحابة رسول الله والرعي الأول، بل هو حال دائم، شهود لا ينقطع حتى يصبح العبد متجردا عن حظوظ النفس، مستغرقا في الجمال الإلهي، يرى أثر الله في كلّ شيء وله في كلّ شيء آية تدلّ على أنه الواحد في كل ذرة، في كل نسمة، يشعر السالك بحضور الله سبحانه وتعالى في كلّ نفس، جلالك في عيني،

وذكرك في في، وحبك في قلبي فكيف تغيب؟ هو تذوق للجمال المطلق لحظة ينسحب فيها الحجاب، فيرى القلب ما لم تكن تراه العيون، وحينما يبلغ العبد هذا المقام لا يعود يرى نفسه، ولا يعود يرى من حوله، بل يصير مرآة تعكس أنوار الحق، فما أحوجا -أيها الإخوة الكرام- في عصر تحكمه المادة ويطغى عليه ضجيج الاستهلاك وليته كان سوقا لسلع مباحة أو طيبة من الرزق الحلال، ولكنها أسواق قذرة -أكرمكم الله- تديرها أموال فاجرة، تراقص فيها الملذات وتتمايل في عرصاته الشهوات. ما أحوجا إلى هزة تحرك كياننا، وتبعثنا من جديد، فقد أصبح الإنسان شبيه الآلة الصماء، والهيك الخواء، يحتم علينا هذا الحال في ضرورة وجودية أن نكون أو لا نكون، بل نتوق إلى سكينه تروي عطش الروح العطشى، وحالة من الصفاء تجعل المرء يتوازن بين حاجات الدنيا والآخرة ورحابة هذا الأفق الوجداني الفسيح إلى ملاذ للروح الحائرة وجسر يعيد الإنسان إلى السكينه واليقين وفي حضرة التلاشي الذي يعيشه الإنسان في ضوضاء الشكوك، ينجلي من خلاله غبار الحيرة، ويعود القلب إلى أصله ويجد ربه ميدانا للأدوار ومهيئا للتجليات "ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبد مؤمن" كما في الأثر.

أيها السادة العلماء، أيها الحضور الكريم، نحن أمام تحديات جامعة تهدد القيم الروحية وتستهدف النواة الأسرية وتريد أن تزيج أخلاقنا الإسلامية، بنشر أفكار سامة، وطروحات هدامة، كأنها تنفذ مخطط إبليس ﴿فَلْيَبْتَكُنْ أَذَانَكَ أَلَّا تَعْلَمَ وَلَا تَمُرُّهُمْ فَلْيَعْرِزْتَ خَلَقَ اللَّهُ﴾ مخططات تدفعنا إلى العودة إلى ديننا بأركانه الثلاثة، إسلاما وإيمانا وإحسانا، فهذا وحده هو الحصن الحصين، أمام موجات الإلحاد الجارفة، حيث تنزع الفلسفات المادية اليوم إلى إفراغ الإنسان من روحه وتبنيته مع الأسف بعض من يحسن الشقشقة ولا يحسن غيرها، في حين أن بعض أو أكبر فلاسفة العصر الحديث (كانط إيمانويل) الذي أقام الفلسفة النقدية ونظرية المعرفة، أقامها على الجمع بين الروح والمادة، وبين العقل والمحسوسات، فلماذا تقولون للناس الحياة مادة وكل شيء بعد المادة باطل؟ وهذا ما يجعلنا في فهمنا للتصوف بأنه جوهر الدين الذي يحيي في داخلنا الشعور العميق بوجود الله ووحدانيته - كما قال الشيخ العارف بالله سيدي عبد القادر الجيلالي: "من أنكر الله فقد أنكر نفسه" ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ سورة الحشر: 19، إن الإسلام شريعة وحقيقة، ترسي منهج الوسطية والاعتدال، من غير افراط ولا تفريط، يتوازن لا مثيل له، خدمة للدين والدنيا، ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا

تَنسَ نَفْسِيكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ سورة القصص: 77، خلافا لشريعة موسى وعيسى، إنه دين كمال وتمام عقود وذمام يصل بك إلى الإحسان الذي يمنحك السكينه في مواجهة ضجيج العالم، وكما أحب أن أكرر هذه الكلمة فتكاد ضجة الدنيا تصك أذاننا وتصفها تعيدنا إلى التوازن بين الروح والمادة حين تعبث بها رياح القلق والشكوك، كيف يجد المرء السكون والراحة والضجيج في داخله كما قال

ابن الرومي، - أجيّبوني بالله عليكم - كيف يجد المرء الرّاحة والسكون والضّجيج في داخله يجده حين يخلّص قلبه لله، وليكن القلب لله وحده، ألا ذكر الله تطمئن القلوب، فالقلب لمولاه لا إله إلا الله.

لم يعد خافيا على أحد أيها السّادة الكرام، أن العولمة الثقافية تحاول أن تفرض نماذجها الفكرية، ساعية إلى تمييع الهوية الدينية، وتختزل حياتها في قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، تفصل الإنسان عن قيمه الروحية تفرض علينا تحدّيا كبيرا تطرح سؤالاً يضاف إلى أسئلة المنظّم والمقدّم، كيف نحافظ على روح طيبة نقية شفافة شريفة وسط زحام المظاهر؟، كيف نصون العمق في عالم يقدّس السطحيات؟ وعجبت من كلمة قالها عالم النسبية آينشتاين حين قال : إنّ الإنسان الّذي لم يختبر وقفة من وقفات الصّوفية حيال ذلك العالم المادّي ولم يشعر نحوه الروعة هو في حكم الميت لا حياة فيه وإنّي في نسبتي وإنّي كلّما تعمقت في نظرية النسبية ازدادت قربا من منطقة الرّوح والإيمان فقالوا شاهد الله بعلمه ووحدّه وآمن به كقوة خالقة وهو بهذا التصريح يرغم أنوف من لا يحسن إلّا الفذلّة والفلسفة، من دعاة الإلحاد والسفسطة بعيدا عن جوهر الدّين وروحه فهنا يأتي معنى التصوف كحركة مقاومة ثقافية وروحية تعيد ربط المسلم بجذوره العميقة وتؤكد له أن الحداثة لا يعني التغريب وأن الانفتاح لا يعني الذوبان فلقد فهم سلفنا منذ زمن بعيد أن العالم ليس مجرد سوق مادي يتصارع فيه البشر على المكاسب والمطالب والمرام بل هو ساحة لتزكية النفس أيضا ونشر الخير وتحقيق القاصد العليا وحماية الأمة من الانجرار وراء قيم لا تمت لجوهرها بصلّة ويصون قلوب أفراد الأمة أيضا ليبقى الطهر ملازما لها لأنّه إذا فقد القلب هذه المعاني أصبح الإنسان به في صراع مع نفسه في حلة الفكر مع صراعات لا تنتهي مع غيره في حلبات مختلفة من الحياة الاقتصادية والسياسية وغيرها كما قال الفيلسوف المسلم محمد إقبال -عليه رحمة الله-.

إن مفهومنا للإحسان له أبعاد اجتماعية في إصلاح الفرد والمجتمع فلقد لعب هذا المعنى، هذا الجوهر للدّين دورا محوريا في تاريخ الإسلام، حيث أسهم في التضامن الاجتماعي واستقرار المجتمعات والدول وكان له الدور البارز في انتشار الاسلام في ربوع المعمورة وكان له الدور في إقامة المؤسسات التعليمية عناية بالقرآن الكريم حفظا وتدرّسا وتعليم العلوم الشرعية تأصيلا وتأسيسا.

فغدّت هذه المؤسسات معاهد يتخرج بها العلماء والمفتون والصلحاء المتقون ضخت في الأمة أجيالا من ذوي القيادة والزعامة والجهاد والشهامة فالعلماء كما في الحديث قادة والأتقياء سادة ولعل واحدا من هذه الشخصيات العلمية المباركة في جزائرنا الحبيبة الإمام محمد ابن عبد الكريم المغيلي يمثل عنوانا لهذا الذي ذكرت، وهذا الّذي جعل هذه الشّخصية الفدّة التي جمعت بين العلم والعمل بين الإيمان والإسلام والإحسان بين جهد العبادة وجهاد الأعداء جعلته محل عناية رئيس الجمهورية السيد عد المجيد تبون حفظه الله تعالى ورعاه حين أقام له ملتقى دولي وقد كانت هذه الفكرة تراوده منذ أكثر من أربعين سنة حين كان حاكما في ولاية حيث انطلقت منها دعوة المغيلي- عليه رحمة الله - إلى أن وفقه الله تعالى مزيدا في التوفيق والعناية إن شاء الله إلى إقامة هذا الملتقى الدولي تعريفا بجهوده ونشرا لمآثره حيث لعب دورا كبيرا

في مواجهة التحديات الكبرى منها التصدي للحملة الصليبية ورد الاحتلال الأجنبي تماما كما فعل سيدي أبو مدين الغوث الذي قطعت يده في حرب الصليبيين وهي مدفونة في تراب القدس الشريف - حرّره الله تعالى وأعاد عزه للمسلمين إن شاء الله - أبو مدين الغوث هذه اليد التي دفنت هناك هي يد للمبايعة والمصافحة ويد التأييد والمصافحة من الجزائر هاهنا الأمير عبد القادر بن محيي الدين الشيخ بوعمامة الشيخ الحداد وغيرهم من العارفين كلهم كانوا يلبسون لباس الإحسان والتصوف والتركية وجوهر الدين الحقيقي الذي فهم عن الله فقصد الله ومن يقصد إلى الباب يهتدي رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا وأنا بذكري لهؤلاء أذكر من قام بثورة التحرير ونحسب أن هؤلاء الشهداء أولياء عند الله سبحانه عز وجل فكما اختار الله تعالى واتخذ لنفسه أولياء اتخذ لنفسه أيضا شهداء وما أكثر الشهداء في بلادنا ولكن حققوا النصر ونحن عمّ قريب سنحتفل بعيد النصر لهذا الوطن الحبيب فنجمع بين هؤلاء الشهداء ومنهم الذين استشهدوا في هذا الشهر حتى سميناه شهر الشهداء في نهاية هذا الشهر العقيد عميروش وسي الحواس عليهم حمة الله نذكرهم لأنهم أولياء، لأنهم شهداء لأنهم عند ربهم يرزقون أحياء يشهدون معنا هذا المشهد الكريم هؤلاء الرجال فهموا عن الله وفهموا عن رسول الله فقصدوا الباب فاهتدوا. ولقد قال صاحب الإلياذة "فقمنا نضاهي صحابة بدر وبدر هذه الأيام وفتح مكة هذه الأيام المباركات من العشر الأواخر من شهر رمضان، نسأل الله تعالى أن يجعلها نصرا متواليا في جزائر الانتصارات والإنجازات إن شاء الله أن هذه المعاني السامية - اسمحوالي أيها الإخوة الكرام- التي تشمل مناحي الحياة كلها هو قمة الدين وذروة سنامه، حيث يجمع المرء فيه بين العلم والعمل والسلوك، بين القلب والجوارح، بين المعاملة الظاهرة والتزكية الباطنة، هو مستمد من تعاليم كتابنا وسنة نبينا، مستلهم من سيرة خير الأنام القدوة التي أمرنا الله تعالى أن نقتدي به ومن سبقه من إخوانه الأنبياء والمرسلين وبهداهم اقتد. سلف صالح عرفوا واغترفوا وبينوا للناس حتى يقفوا ويقتفوا. علمونا كيف نرتقي بالإيمان والإسلام والإحسان وأن نجعل من هذه المعاني قلبا يسكن لله إذا ذكر، تصفوا الأرواح بمحبة الله وتسير الجوارح في طاعة الله، كما قال الإمام الجوني وهو صنو لمذهبنا ومعتقدنا يقول "مذهبنا هذا مقيد الكتاب والسنة فمن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه في الدين، فلا يقتدى به في طريقنا، وهذا الذي يميز - وهي كلمة أقولها- التصوف عندنا في بلادنا الجزائر، في أماكن أخرى أصبح فلسفة وألفاظا، أصبح في بعض الأحيان معاني لا تفهم ولا تدرك، ولكن التصوف عندنا كان على هذا المستوى البسيط، هذا المستوى العام الذي جمع الناس حول كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

أيها العلماء، أيها الحضور الكريم، علماؤنا بلا فخر كان لهم الأثر البالغ في التأسيس لهذا العلم السني والسلوك الصحيح والحفاظ عليه والدعوة إليه بل بإضافات إليه مبدعة وإشراقات مبينة جعلت المشرق تلميذا بين يديه بل العالم يحبو إليه وما سلطان الأولياء والعارفين سيدي أبي محمد أبي مدين الغوث إلا غرة في جبين الزمن، ودرة في جسد من فتن فتفياً ظلال العلم والدرس ليتحقق بالعبادة والأنس لأن الله تعالى لا يعبد إلا بعلم، فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات سورة محمد ﷺ.

العلم قبل العقيدة، والعلم قبل العمل وفي صحيح البخاري باب أفرد للعلم قبل العمل، على أن لا يبقى هذا العلم مجرد محفوظات تلاك، أو مرويات تخبو دون حراك بل العلم الذي تبني عليه العبادة فيتحقق الذوق والشوق ويرفع المرء من المدارس إلى المؤانسة، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. نعم، هذه هي الحقيقة الغائبة، والحلقة المفقودة في عالم الناس اليوم، أئمة ومأمومين، أساتذة وطلبة، مؤسسات وهياكل، إنها معاناة للجفاء والبعد والجفوة والقسوة، فيا ليت يقتدح بازديان الحال وتتفتح للفهم الأقفال، هذا الذي سعى إليه أبو مدين الغوث حين تنقل بين مجالس العلم وحدها مجردة من المعرفة كما ذكرنا فما عقل منها شيئا ولا نال منها شبعاً ولا ربا، ولا استمتع منظراً ولا رثياً حتى لقي الشيخ أبا الحسن ابن حزم فوجد قلا قصد الله وحده فنفذ العلم إلى قلبه واستقر، فنأدى بحب الله وأقر، وكان لسان حاله يقول:

كن مع الله ترى الله معك	واترك الكل وحاذر طمعك
فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
فإن صح منك الود فالكل هيّن	وكل الذي فوق التراب تراب

بهذه الروح خرج أبو مدين شعيب إلى الحج حيث لقي أحد المجتدين في علم السلوك والتزكية الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني -عليه رحمة الله- فتعانقت الأنوار والأسرار، واعتدلت للتصوف كفتاه وامتألت ضففتاه، فتعلم الناس عندنا في بلادنا التصوف بالحديث وبالصمت، بالسير والجلوس، بالعبارة والإشارة، تعلموا عن أستاذ زمانه الشيخ أي مدين الغوث واستفاد منه آلاف الحيارى واهتدى به وبأمثاله من خدام الدنيا سكارى، بل إن علماء التزكية والتربية يعترفون بفضلته وسبقه وكثيراً ما كان الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي يذكره بين أشياخه، بل من أهم أشياخه. لقد كان لهذا التصوف المتوازن بين الشريعة والحقيقة، بين العلم والتزكية بين الخلوة والتنمية كان له الأثر الكبير في تحصين المجتمع رقي وارتقى من مكان إلى مجتبي، وتناهى لذلك في حسنه اللفظ والمعنى ومما أثر - حتى لا أثقل مسامعكم ببعض الآثار - من رأيته يدعي مع الله حالاً لا يكون على ظاهره منه شاهد فاحذره ويقول احذر صحبة المبتدعة اتقاء على دينك، ويقول من تعلق بوعد الأماني لم يفارق التواني، وما أكثر المتوانين وقال بفساد العامة يظهر الجور في الولاءة، وفساد الخاصة تظهر الدجاجة الفتانين في الدين، كما تكونوا يول عليكم في الأثر وقد أصبح التصوف أيها الإخوة الكرام علماً من العلوم، له أصوله وقواعده له مؤلفاته ومراجعته بلغ الذروة في الإبداع والاجتهاد وأصبح له علماء مجتهدون ثم اعتراه الركود والجمود فكثرت فيه المريدون المقلدون ثم خالطه ما ليس منه فطغى الدخيل على الأصيل ومال البحث فيه كل الميل قبل أن يبعث الله لهذا الشأن مجددين فأحيوا به علوم الدين وبعثوا خاسف المستكين كي يعود للتصوف والإحسان مركز القيادة والريادة من حيث آثاره الروحانية وتطبيقاته التربوية والاجتماعية وهذا ما يفند بعض التصورات الخاطئة وذلك

بنظرة فاحصة ما حصة، ودراسة ناقدة لا حاقدة أن التصوف ليس مجرد رسوم ظاهرة وطقوس زائفة وتمتمات جوفاء وأذكار صماء وألبسة خرقاء ورقصات بلهاء بل هو تصفية القلوب من قدرات الغفلة وتهذيب بالنفوس من علائق الحظوظ وتجريد السرائر حتى تتجلى فيه أنوار القرب لله سبحانه وتعالى وفناء الأهواء في مشيئة الله وسكون هذا القلب المضطرب هذا القلب الذي ينبغي أن يكون وجيبا رجيها لقول الله وحده لا شريك له إذا ذكر الله اطمأنت قلوب المؤمنين وحده الله وحده سبحانه تجريد السرائر حتى تتجلى فيه أنوار القرب وفناء الأهواء في مشيئة الله وسكون القلب تحت مجاري الأقدار وأن يملك الحق عنك لا تشاهد نفسك ولكن شاهد م منحك من أعطاك من هداك اعرف ربك في سلوكك اعرف ربك في ذاتك اعرف ربك في تحركاتك كما قال ابن عطاء الله: "أن تكون مع الله بلا علاقة" وكما قال الجنيد -رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه- مثل هذا الذي ذكرنا.

إن هذا الكلام وهذه الدراسة تفند أيضا من يعتقد أن التصوف مجرد طرف فكري أو أفكار فلسفية حتى بحث فيه الغربيون أو هو نظرات عقلية أو تأملات في أسرار الكون والوجود، أو طرح لقضايا المعرفة بالله من منظور عقلي جامد مجرد، بل هو توازن بين العقل والنقل والوجدان يعتمد على الرياضة والممارسة الروحية والمجاهدة والمحاسبة والمراقبة منهج يقوم على التخلية ويصل إلى التحلية ثم يصل إلى التجلية والمجاهدة في الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة العنكبوت: 69، مجاهدة للنفس والهوى للوصول إلى مقام القرب من الله فمن سار على هذا النهج نجح ومن سار على هذا الدرب في التزكية أفلح، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ 9 وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ سورة الشمس: 9-10.

واسمحوا لي أن أقول ختاماً بأن التصوف والإحسان والتزكية والتربية هي سفينة النجاة وقد سماها العلامة الأستاذ الفيلسوف الوزير الأسبق مولود قاسم نايت بلقاسم - عليه رحمة الله - سماها في عنوان له التربية الروحية أو السفينة النوحية، فهي سفينة نوح - عليه السلام -، يوجه كلاماً لشبابنا اليوم لشباب الجزائر وشباب العالم الإسلامي يدعوه أن يتمسك بأصالته قائلًا: الأصالة هي أن يكون الإنسان ابن عمره على أديم مصره دون أن يصبح نسخة لغيره هذا شرط الخروج من الحيرة والتغلب على ظلام ديره لاستقامة سيره وضمان تحقيق خبره وتوفير السلام لغيره أو لعبه والغير هي القوم هذه هي الحياة الروحية والسفينة النوحية، فكأنني به يقول لشبابنا يا بني اركب معنا فقد علا الموج واشتدت الريح الهوج ولادة حين مناص.

أيها الإخوة الكرام، أرى أنني قد قلت بين يدي الأشياخ والعلماء وأهل الاختصاص ما أستحي أن أذكره لولا المقام، ولكن اسمحوا لي أن أترك لمن يأتي من بعدي تفصيل ما أجملت، وتقويم ما أفسدت، وإصلاح ما أخللت، فأتبع السيئة بالحسنة تمحها، وخالقوني بخلق حسن، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم ربنا إنا نسألك يا أرحم الراحمين سؤال المضطرّ المفتقر الدليل إلى رحمتك، نسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، وعلمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وذهاب همّنا وغمّنا وحزننا يا أرحم الراحمين.

اللهم ربنا إنا نسألك يا أكرم الأكرمين أن تخصّنا بولايتك، وأن تجعلنا من أهلك وخاصتك وأوليائك يا أرحم الراحمين.

اللهم خذ بأيدينا إلى كلّ خير، اللهم ربنا إنا نسألك أن توقّفنا إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين. ربنا إلهنا وخالقنا ومولانا وسيّدنا نسألك اللهم يا أرحم الراحمين بما دعاك به جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل، بما دعاك به حملة العرش الثمانية، بما دعاك به الأنبياء وأولو العزم من الرسل، أسألك اللهم باسمك السر المفتاح المبارك يا أرحم الراحمين أن تغفر لنا ولوالدينا ولمشايعنا ولأرباب الحقوق علينا وأن تغفر لصاحب هذه الحسنة المباركة الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف بالقائد -عليه رحمة الله- وأن تسند وتعين أخي فضيلة الشيخ محمد نور الدين بالقائد وكل من يحمل لواء هذه الدروس المحمّدية إن شاء الله وهذه الزاوية العامرة بإذن الله، اللهم إنا نسألك أن تحفظ بلادنا الجزائر وأن تحفظ سائر المسلمين اللهم ربنا إنا نسألك أن تحفظ ولي أمرنا وتبارك في جهوده يا أرحم الراحمين في خدمة الدين والوطن وأن تعيننا على النصر على الأعداء ولا تشمت بنا الأعداء واجعلنا اللهم أمة صابرة محتسبة اللهم اجعلنا من أهل القبول في شهر رمضان يا ربنا قد وفقتنا ودعوتنا إلى مائدة رمضان فأقبلنا وشهدنا رمضان ونحن نصومه يا رب العالمين فاكرمنا بشهود ليلة القدر واعطنا أجرها واعطنا ثوابها واعطنا نورها واعطنا سرّها وأكرمنا بحضور ليلة العيد والصلاة مع المسلمين في صبيحته ونلقى من يد ملائكتك الكرام الجائزة وهي العتق من النار ربنا اعتق رقابنا من النار وأهاليها وأوليائنا ومن نحبّ من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها اللهم ربنا هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا العمل وعليك التكلان اللهم ربنا حرر بلادنا بلاد فلسطين اللهم ربنا انصر إخواننا المظلومين اللهم ربنا إنا نسألك أن ترفع عنهم البلاء ما تهد به الجبال اللهم ربنا أطعم جائعهم واكس عاريهم داوي جريحهم اللهم فك أسيرهم اللهم ارحم شهيدهم الله أعن وقو مقاومتهم ومجاهداهم يا أرحم الراحمين اللهم ربنا أعز هذه الأمة بأمر عزيز يا أكرم الأكرمين دعوناك فأجب دعانا بكرمك يا مولانا وقد قلت في كتابك ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ سورة آل عمران: 103، اللهم لقد أنقذنا رسول الله منها اللهم فوف لنا هذا العهد ونبقى في نجاة منقودين من النار إن شاء الله، اللهم ربنا هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا العمل وعليك التكلان سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .